ما حياةٌ تشقى وتسعد فيها تتعنى لكن بما يعنيها
في عظيم تبلى به أو زهيد
يحسب الحي جهده لهواه جَهلَ الحيُّ، جهده لسواه
إنما المرء آلة للجدود[١٩]
إنَّ غنم الحياة من لم يجده لم يُمتَّع به، ولم يفتقده
فاغتنم ربح شرها المفقود
شرها يا بني شر ثقيل خيرها يا بني خير قليل
أهلها يا بني أهل حقود
زعموها إلى الخلود تؤدي ما رأينا سوى فناء ولحد
فيه مُودٍ على تجاليد مُودي
قف بباب الحياة لا تدخلنْها واعتصم يا بني ما اسطعتَ منها
سوف ألقاك — فانتظر — بالوصيد

* * *

هكذا أقنع المعري الوليدا فتنحى عن الحياة بعيدا
والتقى الشيخ وابنه في اللحود

داوني

دواني يا طبيب واعرف دوائي لست أبغي الشفاء كلَّ الشفاء
داوني واقتصد، ففي البرء لو كا ن سقامي، وفي السقام دوائي
إن دائي كالسهم أُنشِبَ في القلـ ـب وكالسم قرَّ في الأحشاء
لبثه موجع وأوجع منه نزعه، والهلاك في الإبطاء
داوني أيها الطبيب، أما دا ويت مثلي من مثل هذا البلاء؟

[١٩] الحظوظ، والمعنى أن الإنسان مسخر في الحياة وهو يحسب أنه خُلق لنفسه، وأن الحياة نعمة تعنيه هو، وما نصيبه منها إلا أقل من نصيب الأقدار التي تسخره لغاياتها.

واشف قلبي، فلستُ أول شاكٍ فوق هذا الثرى وتحت السماء

* * *

مسقمي، أنت علتي وطبيبي ضلة من سواك أبغي نجائي[٢٠]
إن في هذا الكنانة تريا قًا لما في سهامها من تواء[٢١]
واللحاظ التي أصابت فؤادي عندها طب هذه البرحاء
بين إيماضتين: صدٍّ وعطفٍ هذه كربتي وهذي رجائي
ما عليها والعطف مثل التجافي لو تُحل الرضى محل الجفاء
قد تساوى في لحظك الغض والميـ ـل وليسا في مهجتي بسواء
ما سواء لعمرك الأمن والخو ف وليس النعيم مثل الشقاء
شدَّ ما قربتهما عينك الوسـ ـنى وما قط آذنا بلقاء

* * *

مرسلَ السهم حليةً في فؤادي يا لعُجبي بحليتي وشقائي
هل مجيري من المنية إن السـْ ـسَهم يزري بالعسجد الوضاء؟
يا حياة القلوب! ما راعني المو ت، فما دون سهمه من وقاء
إنما الغبن أن نعيش بقلب ميت بين زمرة الأحياء
ذلك الموت أتقيه وأرجو منه للنفس موئلًا للنجاء[٢٢]
وأناديك كلما روَّعتني جَفَلاتٌ من ظلمه في القضاء
داوني! داوني! فقد كان عيسى يبعث الداثرين بالأسماء[٢٣]
وكِلَا الحب والعبادة وحيٌ فوق ذرع الحجى، وفوق الذكاء
لو بغير الوحي الإلهي يُزهى كنت فينا كأضعف الضعفاء

[٢٠] أي يا مسقمي.
[٢١] هلاك.
[٢٢] أي إنه لا فائدة من خوف الموت الذي يسري قضاؤه على الخائف وغير الخائف، وإنما يخاف الموت الذي قد يصيب أناسًا ويدع آخرين، وهو أن يعيش الإنسان في الحياة بقلب ميت.
[٢٣] الداثرين؛ أي الهالكين.

داوني واقتصد، فإني لأهوى كلَّ داء لديك منه دوائي

سُكران

هذا بشير الزمان فانشر دفين الأماني
على دعاء المثاني[٢٤] وضجة الندمان

* * *

ونادٍ بالخمر جوبي في كل عرقٍ طروب
وخالطي في القلوب مواضع الأحزان

* * *

قل للوئيدة غدرًا هم قد أجنُّوك دهرا
فجددي اليوم عمرًا قضيته في القناني

* * *

ردِّي حياتك فينا فإن حييتِ حيينا
نعم وعشنا سنينا في ساعة من زمان

* * *

واشفي فؤاد الكليم من كل جرح قديم
فأنت أم النعيم يا بنت كرم الجنان

* * *

وأبعدي الأرض عنا وقرِّبي الخلد منا
قد كنتِ فيه وكنا فنحن نبتا مكان

[٢٤] المثاني: أوتار في العود.